

الليث بن سعد

محدث مصر وفقهها ورئيسها

للأستاذ علي الطنطاوي

تمتة

قال الامام الشافعي : الليث أنفه من مالك
إلا أن أصحابه لم يقوموا به
وقال الامام أحمد : ليس في أهل مصر
أصح حديثاً من الليث

وقال الامام الشافعي : الليث أتبع للأثر من مالك
وكان ابن وهب^(١) يقرأ على الشافعي مسائل الليث فرت به
مسألة ، فقال رجل من الغراء : أحسن والله الليث ، كأنه كان
يسمع مالكاً يجيب فيجيب هو ، فقال ابن وهب للرجل : بل
كأن مالكاً كان يسمع الليث يجيب فيجيب هو ، والله الذي
لا آله إلا هو ما رأينا أفقه من الليث

وقال ابن وهب : لولا مالك والليث لضل الناس
وقال الدراوردي : رأيت الليث عند يحيى بن سميد
وربيعة^(٢) وانهما ليرجرجان له رجرجة ويمظانه
وقال الذهبي : وكان من محور العلم له حشم وافر ، وكان نظير مالك
قال ابن عساکر : كان كبار العلماء يعرفون فضله ويشيرون
إليه وهو شاب ، وقيل له : أمتع الله بك ، إنا نسمع منك الحديث
ليس في كتبك ؟

قال : أو كل ماني صدرى في كتبتي ؟ لو كتبت ماني صدرى
ما وسع هذا المركب !

مُزَنَ لَهُ عِنْدَ الْخُفَاءِ وَالْوَلَدِ

قال الليث : قال لي أبو جعفر : تلي لي مصر ؟

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرظي بالولاء أحد الأئمة . قال
أحمد : ما أصح حديثه ! وقال ابن معين : ثقة . وقال ابن حبان : حفظ
على أهل مصر والحجاز حديثهم . روي أنه حدث بمائة ألف حديث . مات
سنة ١٩٩

(٢) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي الدقي الفقيه المعروف بريئة
الرأي . وتقه أحمد وابن سعد وابن حبان وأبو حاتم والنسائي مات سنة ١٣٦

قلت : لا يا أمير المؤمنين ، إني أضعف عن ذلك ، إني رجل
من الموال

فقال : ما بك ضعف مني إلا ضعف بدنك ، أريد قوة أقوى
مني ؟ ولكن ضعفت نيتك في العمل عن ذلك ، فأما إذ أبيت
فدلتني على رجل

فقلت : عثمان بن الحكم الجذامي ، رجل له صلاح وعشيرة
فبلغ ذلك عثمان فخلف ألا يكلمني
فلما أردت أن أودعه قال لي : قد رأيت ما سرني من سداد
عقلك فأتق الله في الرعية أمثالك

وقال يعقوب بن داود وزير المهدي : قال لي أمير المؤمنين لما
قدم الليث بن سعد بغداد : إلزم هذا الشيخ ، فقد ثبت عند أمير
المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه

وقال لؤلؤ خادم الرشيد : جرى بين هرون الرشيد وبين بنت
عمه زبيدة بنت جعفر كلام ، فقال هرون : أنت طالق إن لم
أكن من أهل الجنة . ثم ندم لجمع الفقهاء فاختلفوا . ثم كتب
إلى البلدان ، فاستحضر علماءها إليه ، فلما اجتمعوا جلس لهم
فسألهم فاختلفوا ، وبقى شيخ لم يتكلم ، وكانت في آخر المجلس
وهو الليث بن سعد . فسأله فقال : إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه
كلته ، فصر فهم . فقال : يدنيني أمير المؤمنين . فأدناه . فقال :
أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم . فأمر باحضار مصحف ، فأحضر ،
فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها ،
ففعل ، فلما انتهى إلى قوله تعالى « وَإِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » .
قال : أُمْسِكْ يا أمير المؤمنين ، قل : والله . . .

فاشدد ذلك على هرون . فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أملك
فقال : والله (حتى فرغ اليمين) . قال : قل ، إني أخاف مقام
ربي . فقال ذلك

فقال : يا أمير المؤمنين ، فهما جنتان ، وليست بجنة واحدة !
(قال) فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر ، فقال الرشيد :
أحسنتم . وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له باقطاع الجيزة ،
ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرماً

قال الليث : وسألني هرون الرشيد : ما صلاح بلدكم ؟ قلت :
يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا إجراء النسل وصلاح أميرها . ولأنه

قلت : نعم . قال : أعد علي ما قلت ، فاعدته ، فرق الشيخ وبكى ، وقال : ما اسمك ؟ قلت : منصور بن عمار . قال : أبو السرى ؟ قلت : نعم . فدفن علي كيباً وقال : لمن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ، ولا تمدحن أحداً من المخلوقين ، بعد مدحك لب العالين ، ولك علي في كل سنة مثلها وكتب اليه مالك في رسالة : « .. وأنت في أمانتك وفضلك ومثلتك وحاجة من قبلك اليه . . . الخ »

وقال له يحيى بن سعيد الأنصارى ، وقد رآه يفعل شيئاً من المباحات : لا تفعل ، فانك إمام منظور اليك

مقر وكرم

قال شعيب بن الليث : كان أبي يستغل في السنة مائتين وعشرين ألف دينار الى خمسة وعشرين ألفاً ، فتأتى عليه السنة وعليه خمسة آلاف دينار ديناً وقال محمد بن رمح^(١) : كان دخله ثمانين ألف دينار في العام وما أوجب الله عليه زكاة قط

وخرج يوماً فقوّموا ثيابه ودابته بثمانية عشر ألف درهم الى عشرين ألفاً ، وخرج شعبة^(٢) فقوّموا حماره وسرجه ولجامه بثمانية عشر الى عشرين درهماً

وقال أبو رجاء^(٣) : قفلنا مع الليث من الاسكندرية ، وكان معه ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه

قال عبد الله بن صالح (كاتبه) : صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس ، وكان لا يأكل إلا بلحم ، إلا أن يمرض ، وكان لا يتردد اليه أحد إلا أدخله في جملة عياله مادام يتردد عليه ويسمع منه ، فإذا أراد الخروج زوده بالبلغة الى وطنه وكان يتخذ لأصحابه الفالوج ، ويعمل فيه الدنانير ، ليحصل لمن أكل كثيراً أكثر من صاحبه

(١) هو محمد بن رمح بن المهاجر النجبي بالولاء المصرى الحافظ وكنية

أبو داود ، وقال النسائي : ما أخطأ في حديث قط توفي سنة ٢٤٢

(٢) كان شعبة فقيراً صابراً ، وكان الليث غنياً شاكراً ، وكلاهما على خير ، وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد العتكي بالولاء الحافظ أحد أئمة الاسلام ، نزيل البصرة ، قال أحمد : كان شعبة أمة وحده ، وقال ابن معين : إمام الثقلين ، وقال أبو بكر : ما رأيت أعبد لله من شعبة ، وهو أول من تكلم في رجال الحديث توفي سنة ١٦٠

(٣) هو قتيبة بن سعيد التقي بالولاء أحد أئمة الحديث توفي سنة ٢٤٠

من رأس العين يأتي الكدر ، فإذا صفا رأس العين صفت العين قال : صدقت يا أبا الحارث

وقال السيوطي : كان نائب مصر وقاضياً من تحت أوامر الليث ، وكان إذا رآه من أحد شيء كاتب فيه فيعزله

قال ابن أبي مرزيم : كان إسماعيل بن اليسع الكندي من خير قضائنا ، غير أنه كان يذهب مذهب أبي حنيفة في إبطال الجبس فأبغضوه ، فجاء الليث يجلس بين يديه ، فرفع إسماعيل مجلسه ، فقال : إنما جئت إليك مخاصماً ، قال : في ماذا ؟

قال : في أحباس المسلمين ، قد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فمن بقي بعد هؤلاء ؟

وقام فكتب إلى المهدي ، فورد الكتاب بعزله . فأتاه الليث يجلس إلى جنبه ، وقال للقارىء : اقرأ كتاب أمير المؤمنين ، فقال له إسماعيل : يا أبا الحارث ، وما كنت تصنع بهذا ؟ والله لو أمرتني بالخروج لخرجت ؟

فقال له الليث : والله إنك لمعيف عن أموال الناس وكان في كتاب الليث إلى المهدي : أنا لم تنكر عليه شيئاً غير أنه أحدث أحكاماً لا نعرفها

ولما أذن موسى بن عيسى للنصارى في بنيان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان ، بنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة

منزلته عند الناس

كان له أربعة مجالس يجلس فيها كل يوم ، فيجلس ليأتيه السلطان في نوابه وحوائجه . وكان الليث ينشأه السلطان ، فإذا أنكر من القاضي أمراً أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه المنزل ، ويجلس لأصحاب الحديث ، وكان يقول نحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم متعلقة بأسواقهم ، ويجلس للمسائل ينشأه الناس فيسألونه ، ويجلس لحوائج الناس فلا يسأله أحد من الناس حاجة فيرده ، كبرت حاجته أم صغرت . . .

وقال منصور بن عمار : كان الليث إذا تكلم رجل في المسجد الجامع أخرجه ، فلما دخلت مصر تكلمت في الجامع ، فإذا رجلاً قد دخل فأخذاني ، فقالا : أجب أبا الحارث . فذهبت وأنا أقول : واسوأناه أخرج من البلد هكذا . . .

فلما دخلت على الليث سلمت ، فقال : أنت التكم في المسجد؟

فيقتلهم ، فرحلت الى مصر فدخلتها في هيئة رثة ، فزرت الليث ، فلما خرجت من منزله تبعني خادم له في دهليزه ، وقال : اجلس حتى أخرج اليك ، فجلست ، فلما خرج وأنا وحدي ، دفع اليّ صرة فيها مائة دينار ، وقال : يقول لك مولاي أصلح بهذه النفقة أمرك ، ولم شمك ، وكان ممي في حُجْرَتِي ^(١) ألف دينار ، فقلت للخادم : أدخلني على الشيخ فاني في غنى عن هذه المائة ، فاستأذن لي عليه ، فأخبرته بنسبي ، واعتذرت اليه عن رد المائة ، وأخبرته بما ممي ، فقال : هذه صلة وليست بصدقة ، فقلت : أكره أن أعود نفسي هذه المادة ، وأنا في غنى ، قال : ادفعها الى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا فلم يزل بي حتى أخذتها ففوقتها في جماعة

رفاه

توفي الليث يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ١٧٥ قال خالد بن عبد السلام الصدقي : جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبي ، فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها ، ولا أكثر من أهلها ، ورأيت الناس كلهم في جنازته عليهم الحزن ، يمرّون بعضهم بعضاً ويبكون ، فقلت : يا أبت كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة !

فقال : يا بني ، كان عالمًا كريما ، حسن العقل ، كثير الأفضال ، يا بني لا ترى مثله أبداً . . .

قال بعض أصحابه : ولما دفناه سمعنا صوتاً وهو يقول :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريباً وقبر فالتفتنا فلم نر أحداً

وصلى عليه موسى بن عيسى الهاشمي ، ودفن في القرافة الصغرى ، رضى الله تعالى عنه وبوآء من الجنة عرفاً

هذا ما بقى من هذه السيرة الجليلة ، متفرقا في شتى الكتب ، ومختلف الأجزاء ، وقد ضاع سائرهما ، كما ضاع هذا التراث العلمي الضخم ، فرحمة الله على أولئك الأجداد الذين بنوا وشادوا ، وألفوا وجموا ، وعلموا وعملوا ، ورزقنا التأسى بأعمالهم ، والسير على سننهم . . . وألهمنا إحياء تاريخنا ، ونشر ما ضياعنا

على الطنطاوي

(١) الحجة بالضم معقد الأرار ومن السراويل موضع التكة

وكان يطعم الناس الهرايس بمسل النحل وسمي البقر في الشتاء ، وفي الصيف باللوز والسكر وكان يصل مالكاً كل سنة بمائة دينار ، فكتب اليه مرة أن عليّ ديناً ، فبعث اليه بخمسمائة دينار . وكتب اليه مالك مرة إلى أريد أن أدخل ابنتي على زوجها ، فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفور قال ابن وهب : فبعث اليه بثلاثين جملًا محملة عصفراً فصنع منه لابنته ، وباع منه بخمسمائة دينار ، وبقي عنده فضلة قال أبو صالح (كاتبه) : كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا (أي احتجب) فقلنا : ليس يشبه هذا صاحبنا ، فسمع مالك كلامنا فأمر بادخالنا عليه ، فقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث بن سعد قال : تشبهوني برجل كتبت اليه في قليل عصفور نصيب به ثياب صدياننا ، فأنفذ إلينا منه ما صبغنا به ثياب صدياننا وثياب نجيراننا ، وبنا الفضل بألف دينار ؟

ولما حج الليث أهدى اليه مالك طبقاً فيه رطب ، فردّ اليه على الطبق ألف دينار

ولما احترقت دار ابن لهيعة وصله بألف دينار ، ووصل منصور بن عمار القاضي بألف دينار

وكان يجيء الى المسجد كل يوم على فرس ، فيتصدق كل صلاة على ثلثمائة مسكين ، ولم يكن يردّ سائلاً :

أما مرة سائل فأمر له بدينار ، فأبطأ الفلام به فجاء سائل آخر فجعل يلح ، فقال له الأول : اسكت . فسمعه الليث فقال : مالك وله ؟ دعه يرزقه الله ، وأمر له بدينارين

قال منصور بن عمار : كنت عند الليث جالساً فأنته امرأة ومعهما قدح ، فقالت : يا أبا الحارث إن زوجي يشتكي وقد نُعت لنا السل . فقال : اذهبي الى الوكيل فقولي له يعطيك . فجاء الوكيل يساراً بشيء . فقال له الليث : اذهب فأعطها مطراً ، إنها سألت بقدرها فأعطيتها بقدرنا (قال : والطر عشرون ومائة رطل) واشترى قوم من الليث ثمره بمال ، ثم إنهم ندموا فاستقالوه فأقالهم ، ثم استدعاهم فأعطاهم خمسين ديناراً وقال :

لأنهم كانوا أملاً فأحببت أن أعوضهم

وقال أسد بن موسى ^(١) : كان عبد الله بن علي يطلب بني أمية

(١) هو أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان صاحب السند يقال له أسد البسة ، قال النسائي ثقة لو لم يصنف لكان خيراً له . توفي ٢١٢